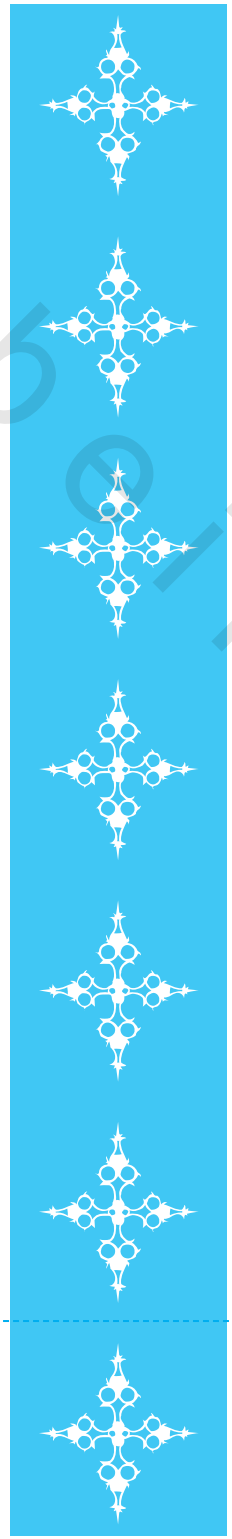

الجلسة الأولى :

التدبُّر عند اللغـويـين

الورقة الثانية:

مفهوم التدبُّر عند اللغويين

د. عـويـض العـطـــوي

obeikandl.com

الورقة الثانية:

د. عويض العطوي

مفهوم التدبر عند اللغوين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله..، وبعد:

فقد تلقَّيت دعوةً كريمةً من (مركز تدبُّر) المتخصص بتدبر القرآن، بشأن المشاركة في الملتقى العلمي الذي عنوانه: (مفهوم التدبُّر، تحريرٌ وتأصيلٌ) المزمع إقامته في يوم الخميس ١/ ٦/ ١٤٢٩هـ من الساعة ٤-١١ مساءً.

وقد رأيتُ أن أشارك في هذا الملتقى بورقةٍ بعنوان: (**مفهوم التدبُّر عند اللغويين**)، وقد كانت لي عنايةٌ خاصَّةٌ بهذا الموضوع منذ زمن ليس بالهيِّن، وكان أكثرُ تلك العناية منصبًّا على التطبيق أكثر من التنظير، لكن لاح لي وأنا أكتب هذه الورقات، وأتصفَّح تلك المحاور المرسلة، سؤال مفاده:

لماذا كلُّ هذا الاهتمام بهذا الموضوع؟ هيئات، ومراكز، وأبحاث، ودورات، وكتب، بينما لا نجد ما يماثل ذلك عند السلف، هل عندنا شيءٌ ليس عند السابقين، هل فَهْمُنا اختلف عن فَهْمِهم؟

أَسئلةٌ قد تدور في ذهن من يتصدَّى لهذا الموضوع، ولعلَّ من إجابات تلك الأسئلة:

أنَّهم قوم فهموا المراد، واهتموا بالتطبيق أكثر من التنظير.

أنَّهم فهموا التدبُّر بما يؤول إليه من عمل وسلوك، فقاموا بذلك، ونحن اشتغلنا بالتنظير.

ولكن هذا لا يعني أن نترك البحث والنظر، والتأليف، لكنه سؤال لا بُدَّ أن نستحضره ونحن نناقش هذا الموضوع، حتى لا نسرف في شيءٍ على حساب شيءٍ آخر.

*** توطئة:**

عند التأمُّل في هذه الكلمة (التدبُّر) نجد أنه يمكن أن يُحدَّد مفهومها بالنظر إليها من زوايا عدَّة، هي المادة التي بنيت منها هذه الكلمة وهي (دبر)، وذلك لأن كلمة (التدبر) مصدر للفعل (تدبَّر) وهو مزيد بالتاء وتضعيف العين، وهذه الزيادة لا بُدَّ من استحضارها عند بيان مدلول هذه الكلمة، وذلك من خلال دراسة صيغة الكلمة (تَفَعَّل)، كما لا بُدَّ من التعرض للصيغة التي وردت عليها الكلمةُ في القرآن، وهي الفعل المضارع (يتدبرون، يدَّبروا)، وسر اختصاص هذه الكلمة بالقرآن، دون (التأمل، والتفكر، والنظر).

ومِن خلال هذه المحددات رأيت أن تشمل الورقة ثلاثة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: دلالة مادة التدبُّر في المعاجم اللغوية.

المبحث الثاني: الفروق الدلالية بين التدبر وبعض مرادفاته: (التأمل، التفكر، النظر، التأويل).

المبحث الثالث: دلالة صيغة الكلمة (التدبر).

المبحث الأول :

دلالة مادة (التدبُّر) في اللغة

بالنظر في معاجم اللغة نجد أنَّ المادة الأصليَّة لكلمة التدبر هي: (د ب ر)، وهذه المادة تدل على معانٍ عدَّة، هي:

١ - الذهاب والانصراف:

يقول الخليل (ت ١٧٠ هـ): «ويقال للقوم في الحرِّ: وَلُّوهُم الدُّبُرَ والإدبار، والإدبار التَّوْلِيةُ نفسُها... وإدبار النُّجومِ، عند الصُّبحِ في آخر اللَّيل إذا أَدبَرَتْ مُوَلِّيةً نحو المغرب»»[(١)].

ويقول ابن سيدة (ت ٤٥٨ هـ): «دَبَر الليل والنهار يَدْبُر دُبورًا»[(٢)]، أي: ذهب وولى.

٢ - مُؤخِّرة الشيء:

لذا تذكر هذه المادة في مقابل القُبل كثيرًا، وقد نصَّ على ذلك الخليل بقوله: «دُبُر

(١) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، مادة (دبر)

(٢) المخصص، ابن سيدة، باب فعلت وأفعلت، ٣/ ٤٤٤.

كلِّ شيءٍ خلاف قُبُلِه ما خلا قولهم: جَعَلَ فلانٌ قَولي دَبْرَ أُذُنِه؛ أي خَلْفَ أُذُنه، ودُبُرَ أذنه»[١].

وقد جمع الزمخشريُّ (٥٣٨ هـ) كثيرًا من أقوالهم في ذلك، ومما ذكره قولهم: «قبَّح الله ما قَبُل منه وما دَبُر، والدلو بين قابل ودابر: بين من يُقبل بها إلى البئر وبين من يُدبر بها إلى الحوضِ، وما بقي في الكنانة إلا الدابر وهو آخر السهام، وقطع الله دابِرَهُ وغابِرَهُ، أي آخِرَه وما بقي منه، وصكَّ دابرتَه؛ أي: عرقوبه...»[٢].

٣- النظر في عواقب الأمور وأواخرها:

وقد يكون هذا من الدلالة المجازية المنقولة من الدلالة الحسية التي سبق ذكرها، يقول الخليل: «والتَّدبير: نَظَرٌ في عَواقِبِ الأمور، وفلانٌ يَتَدَبَّرُ أعجازَ أمورٍ قد وَلَّتْ صدورُها»[٣].

ويقول الزبيدي (١٢٠٥هـ): «ويقال: عَرَف الأَمرَ تَدَبُّرًا؛ أَي: بأَخَرَةٍ.

قال جَرِير:

ولا تَتَّقُون الشَّرَّ حتَّى يُصِيبَكُمْ ولا تَعْرِفون الأَمرَ إلاَّ تَدَبُّرَا»[٤].

٤- التقاطع والهجران:

يقول الخليل: «والتَّدابُر: المُصارَمة والهجْران، وهو أن يُوَلِّي الرجل صاحبَه دُبُرَه،

(١) العين، مادة (دبر).

(٢) أساس البلاغة، الزمخشري مادة (دبر).

(٣) العين، مادة (دبر).

(٤) تاج العروس، مادة(دبر).

ويُعرضَ عنه بوَجهه»[١].

٥- التجاوز:

جاء في الأساس: «دبر السهمُ الهدفَ: جازه، وسقط وراءه»[٢].

٦- التتبع والتعقُّب:

يقول الخليل: «والدابِرُ: التابع، ودَبَرَ يَدْبُرُ دَبْرًا؛ أي: تَبِعَ الأَثَر، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ [المدثر:٣٣]؛ أي: وَلَّى ليذهَبَ، ومن قَرَأَ: دَبَرَ؛ أي: تَبِعَ النَّهارَ..، واستَدْبَرَ فلان فلانًا من حِينه: أي حين تَوَلَّى تَبِعَ أمرَه»[٣]، وجاء عند الأزهري (٣٧٠ هـ): «قال: ويقال: عقَّبت الأمر، إذا تدبَّرته، قال: والتعقُّب: التدبُّر والنظر ثانيةً.

قال طفيلٌ الغنوى:

فلن يجد الأقوامُ فينا مَسَبَّةً ... إذا استُدبرتْ أيَّامنا بالتعقُّبِ

يقول: إذا تعقبوا أيامنا لم يجدوا مَسَبَّةً»[٤].

٧- ريح خاصَّة:

تسمى بالدَّبور، «وسمِّيت دبورًا؛ لأنها تجيء من دبر الكعبة»[٥].

وهناك معان أخرى يمكن استنباطها من إيرادهم التدبر تفسيرًا لبعض الكلمات، ومن ذلك:

---

(١) العين، مادة (دبر).

(٢) أساس البلاغة، مادة (دبر).

(٣) العين، مادة (دبر).

(٤) تهذيب اللغة، الأزهري، مادة (عقب).

(٥) جمهرة اللغة، لابن دريد، مادة (دبر).

٨- الحرث:

يقول الزمخشري في (الأساس): «وحرثت القرآن: أطلت دراسته وتدبره»[١].

٩- التطفيل:

يقول الزمخشري: «وطفلت الكلام ورشحته: تدبرته»[٢].

١٠- الفلي:

يقول الزمخشري: «فليت الشعر: تدبَّرته وفتَّشت في معانيه»[٣].

١١- الاقتداح:

جاء في (الأساس): «ومن المجاز: اقتدح الأمر: تدبَّره»[٤].

١٢- التعقُّل:

«التعقُّل:التدبُّر، وتعقَّلتُ الشيءَ تدبَّرتُه»[٥].

ومن خلال النظر في كلِّ ما سبق نلحظ تقارب المعاني، وأنَّ جُلَّها يعود إلى عاقبة الشيء ومؤخرته، وقد كفانا ابن فارس(٣٩٥ هـ) مؤونة ردِّ تلك المعاني إلى معنًى كُلِّـيٍّ بقوله: «(دبر) الدال والباء والراء، أصل هذا الباب: أنَّ جُلَّه في قياسٍ واحد، وهو آخِر الشَّيء وخَلْفُه خلافُ قُبُلِه، وتشذُّ عنه كلماتٌ يسيرة نذكرُها، فمعظم الباب

---

(١) أساس البلاغة، مادة (حرث).

(٢) أساس البلاغة، مادة (طفل).

(٣) أساس البلاغة ١/ ٣٥٩.

(٤) أساس البلاغة، مادة(قدح)

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية (دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت ، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ) (ج ١ / ص ١٨٨)

obeikandl.com

أنَّ الدُّبُرَ خلافُ القُبُل»[1].

ووجَّه ابن فارس كثيرًا من الأقوال وفقًا للمعنى الذي ذكر فقال: «... مِنْ ذلك: ودبَّرْتُ الحديثَ عن فُلانٍ، إذا حدَّثتَ به عنه، وهو من الباب؛ لأنَّ الآخِر المحدِّثَ يَدْبُر الأوَّلَ يجيءُ خَلْفَه... وقد دَبَرَ يَدْبُرُ دُبُورًا، والدَّبَرانُ: نجمٌ، سمِّي بذلك؛ لأنَّه يَدْبُر الثُّريَّا، ودابَرْتُ فُلانًا: عاديتُه، وفي الحديث: «لا تَدَابَرُوا»، وهو من الباب، وذلك أنْ يترُكَ كلُّ واحدٍ منهما الإقبالَ على صاحبه بوجْهه، والتدبير: أنْ يُدبِّر الإنسانُ أمرَه، وذلك أنَّه يَنظُر إلى ما تصير عاقبتُه وآخرُه... والدَّابر من القِداح: الذي لم يَخْرُج؛ وهو خلاف الفائز، وهو من الباب؛ لأنَّه ولَّى صاحبَه دُبُرَه. والدَّابر: التابع؛ يقال: دَبَرَ دُبُورًا. وعلى ذلك يفسَّر قوله جلَّ ثناؤُه: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ [المدثر:٣٣]، يقول: تَبِع النَّهارَ...

وأما الكلمات الأُخَرُ؛ فأُراها شاذَّةً عن الأصل الذي ذكرناه، وبعضُها صحيح»[2].

وبهذا ندرك أنَّ دلالات هذه المادة يمكن أن ترشدنا إلى أن (التدبُّر) يحتاج إلى: التتبُّع للوصول للغايات، وأواخر الأشياء.

وإنما أَورَدتُّ كلَّ ما يخص هذه المادة من معانٍ من أجل الاستقصاء؛ ليمكننا بعد ذلك الخروج بمعنى مناسب لدلالة التدبُّر في القرآن، وفي نظري أنَّ المعاني المذكورة تآزرت بصورة واضحة في دلالة أشرت إليها قبل قليل.

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس،تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون، (اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢م)، مادة (دبر)

(٢) مقاييس اللغة، مادة (دبر).

ومع هذا؛ فأنا لا أرى ما يدعو إلى التعمُّق في البحث اللغوي إلا للمختصين، أما عند مخاطبة الناس بهذا الموضوع، أو التأليف؛ فأرى أن يقصر الأمر على ما يفهمُه الناسُ بسهولة، حتى لا نقيم حدودًا أو حواجز تضيق من مساحة التدبر الواسعة.

وفي رأيي أنَّ عامة المسلمين يفهمون المعنى العام من مصطلح (تدبر القرآن)، ولهذا فلا أرى مناسبة للتوسُّع فيه على ما ذكر، إلا للبحوث المتخصصة، وهذه الورقة إحداها.

obeikandl.com

المبحث الثاني:

الفروق الدلالية بين التدبر وبعض مرادفاته من حيث اللغة

بما أنَّ التدبر لم يذكر في القرآن إلا مع القرآن، فهذا يعني خصوصية لهذه الكلمة ليست لغيرها، مما يرى أنه بمعناها مثل: التفكُّر، والتأمُّل، والنظر، والتفسير، والتأويل، ولهذا رأيت أنَّ مما يمكن أن يُسهم في تجلية معنى التدبر وتحديد مفهومه بيان الفروق الدلاليَّة بينه وبين هذه الكلمات؛ لإدراك سرِّ اختصاص كلٍّ منها بما اختص به.

* التدبر والتفكر:

يقول ابن سيده: «الفَكْر، والفِكْر: إعمال الخاطر في الشيء»[1]، وجاء في القاموس: «الفِكْرُ -بالكسر، ويُفْتَحُ-: إعمالُ النَّظَرِ في الشيءِ»[2]، وجاء عند ابن فارس: «(فكر) الفاء والكاف والراء تردُّدُ القَلْب في الشَّيء، يقال: تفكَّرَ إذا ردَّدَ قلبه معتبِرًا»[3].

ويظهر من هذا: أنَّ التفكر هو استخدام للعقل المشار إليه بالنظر والقلب، وليس من دلالاته الوصول إلى الغايات، بل الاعتبار بالمشاهدات وما يماثلها من

(١) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيدة، مادة (فكر).

(٢) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مادة (فكر).

(٣) مقاييس اللغة، مادة (فكر).

دلائل القدرة، لذا نجده يذكر مع الآيات المنظورة (الكون)، دون الآيات المسطورة (القرآن)؛ لأن ذلك هو مجال، وقد أجاد أبو هلال العسكري حين جعل جوهر الفرق بين اللفظين يرجع إلى مقصد كلٍّ منهما (العواقب، والدلائل)، بناء على الفرق المعجمي في دلالة كل منهما، فقال: «الفرق بين التدبر والتفكر: أن التدبُّر: تصرُّف القلب بالنظر في العواقب، والتفكُّر: تصرف القلب بالنظر في الدلائل»[١].

*** التدبر والنظر:**

جاء في «العين»: «تقول: نَظَرْتُ إلى كذا وكذا من نَظَر العين، ونَظَر القلب»[٢]، وفي «المقاييس»: «(النون والظاء والراء) أصلٌ صحيح، يرجع فروعُه إلى معنًى واحد، وهو تأمُّلُ الشَّيءِ ومعاينتُه، ثم يُستعار ويُتَّسَع فيه، فيقال: نظرت إلى الشَّيءِ أنظُر إليه، إذا عاينْتَه»[٣].

ويتضح من هذا: أنَّ عماد هذه الكلمة (النظر) هو المعاينة التي أداتها العين، وبهذا يكون النظر أقرب التفكر منه إلى التدبر، وأرى أن الاثنين (التفكر والنظر) أداتان يمكن أن يوصلا إلى القدرة على التدبر.

*** التدبر والتأمل:**

يقول الخليل: «التَّأَمُّل: التَّثَبُّتُ في النَّظر، قال:

تأمّلْ خليلي هل تَرَى من ظَعائنٍ... تحمّلْنَ بالعَلْياءِ من فَوْق جُرْثُمِ»[٤].

---

(١) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري ١ / ١٢١.

(٢) العين، مادة (نظر).

(٣) مقاييس اللغة، مادة (نظر).

(٤) العين، مادة (أمل).

وجاء في «القاموس المحيط»: «تأمَّلَ: تَلَبَّثَ في الأَمْرِ والنَّظَرِ»[١]، وقال ابن فارس: «(أمل) الهمزة والميم واللام أصلان: الأول: التثبُّت والانتظار، والثاني: الحَبْل من الرَّمل»[٢].

ويتضح من هذا: أنَّ التأمل يدور حول التثبت والتلبُّث والانتظار، ومن هذا الوجه يختلف عن التدبر الذي يراد منه التتبُّع حتى الوصول إلى غاية المقصد.

وقد عرَّفه العسكريُّ بقوله: «التأمُّل هو: النظر المؤمل به معرفة ما يطلب ولا يكون إلا في طول مدة، فكل تأمل نظر، وليس كل نظر تأمُّلًا»[٣]، وقريب منه قول المناوي: «التأمُّل: تدبُّر الشيء وإعادة النظر فيه مرَّة بعد أخرى ليتحقَّقه»[٤].

*** التدبر والتفسير:**

قال ابن فارس: «الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيانِ شيءٍ وإيضاحِه»[٥]، وهذا يعني: أنَّ التفسير مبناه على الكشف والإيضاح، ويكون له مرتكز محدد كاللُّغة مثلًا، ولهذا نجد العناية بذكر ما يدل على الإبانة والإيضاح في قول الزمخشري في «الأساس»: «وكذلك كلُّ ما ترجم عن حال شيء؛ فهو تفسرته»[٦].

فهذا يدل على وجود مؤشر للمعنى يوضح المراد من خلاله، ولهذا يكون التفسير -غالبًا- قريبًا ظاهرًا مفهومًا، بخلاف التدبر؛ فقد يكون لطيفًا عميقًا، ولأجل هذا

(١) القاموس المحيط، مادة (أمل).
(٢) مقاييس اللغة، مادة (أمل).
(٣) الفروق اللغوية ١ / ٥٤٣.
(٤) التعاريف ١ / ١٥٦.
(٥) مقاييس اللغة مادة(فسر).
(٦) أساس البلاغة ١ / ٣٥١.

obeikandi.com

الملحظ نجد المناوي يقول: «التفسير لغة: الكشف والإظهار، وشرعًا: توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه، بلفظٍ يدلُّ عليه دلالة ظاهره»[١].

*** التدبر والتأويل:**

قال ابن فارس: «الهمزة والواو واللام أصلان: ابتداء الأمر وانتهاؤه»[٢]، وهو بهذا يشير إلى دلالة النهاية والغاية، ويظهر ذلك بوضوح من قوله: «ومن هذا الباب تأويل الكلام، وهو عاقبتُهُ وما يؤُولُ إليه، وذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾ [الأعراف:٥٣] يقول: ما يَؤُول إليه في وقت بعثهم ونشورهم.

وقال الأعشى:

على أنَّها كانَتْ تأَوَّلُ حُبّها تأَوُّلُ رِبعِيٍّ السِّقابِ فأصحبا

يريد مرجعَه وعاقبتَه، وذلك مِنْ آل يَؤُولُ»[٣].

ونص ابن منظور (٧١١ هـ) على المآل والمرجع، وذكر معه التفسير فقال: «الأَوْلُ: الرجوع، آل الشيءُ يَؤُول أَوْلًا ومآلًا: رَجَع، وأَوَّل إِليه الشيءَ: رَجَعَه... وأَوَّلَ الكلامَ وتَأَوَّله: دَبَّره وقدَّره، وأَوَّله وتَأَوَّله: فَسَّره»[٤].

ولعلنا من خلال هذه المعطيات نستطيع القول بأن التأويل يبحث فيما يؤول إليه الشيء، وإذا تعلَّق ذلك بالكلام كان المراد هو ما يؤولُ إليه ذلك الكلام، أو هو الرجوع به إلى مآل آخر.

(١) التعاريف ١ / ١٩٢.

(٢) مقاييس اللغة، مادة(أول).

(٣) مقاييس اللغة، مادة (أول).

(٤) لسان العرب، مادة(أول).

obeikandl.com

وبهذا يكون التأويل أقربَ المعاني للتدبر؛ لاشتراكهما في الوصول للغاية والمآل، والمقصد، لكن قد يكون في التأويل من الخفاء في الدلالة ما ليس في التدبُّر.

وقد اهتمَّ أبو هلال العسكري -كغيره[1]- بإيراد الفروق بين التفسير والتأويل على وجه الخصوص[2]، وما ينبغي التنبه إليه في كلامه قوله في نهاية تلك النقول الكثيرة، والتفصيلات المتعدد: «أقول: لا يخفى أن غاية ما يتحصَّل من هذه الأقاويل:... أنَّ: التأويل له مزيَّة زائدةٌ على التفسير، ويرشد إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧]، حيث حصر سبحانه علم التأويل في جنابة تعالى، ومن رَسَخَ في العلم قدمُه، واستضاء في طريق التحقيق علمُه، ووقع على عجائب ما أودع فيه من الأسرار، وأطلع على تفاصيل ما اشتمل عليه من الأحكام والآثار.

وقد دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابن عباس، وقال: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّيْنِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**»، فلو لم يكن للتأويل مزيدُ فضلٍ لم يكن لتخصيص ابن عباس بذلك -مع جلالةِ قدره، وعظيم شأنه- مزيدُ فائدة».

ولعلَّ هذا ما يجعلنا نقول: إن هناك علاقة بين التأويل والتدبر، يحكمها التقاؤهما في الغايات والمقاصد، وافتراقهما فيما يتعلَّق بالمكلفين، فالتدبر مطلوب محثوث عليه، متاح لكلِّ الخلق ممن ملك الأداة، والتأويل محصور في أهل الرسوخ أمثال حبر الأمة وترجمان القرآن، حتَّى لكأن التأويل يبحث فيما خفيت دلالته، وصعب على سائر الناس إدراك المراد منه.

وقد يرشد إلى ذلك تأمل الآيات التي ورد فيها لفظ التأويل، فهي جلُّها -أو

(١) كالمناوي في التعاريف ١ / ١٩٣.

(٢) انظر: الفروق اللغوية ١ / ١٣٠.

كلها- مما خفيت دلالته، مثل الرؤيا، وما خفي من العلم في قصة موسى -عليه السلام- والعبد الصالح، لهذا ينبغي عدم الوقوف عند القول بأن التأويل هو التفسير فحسب، بل إنَّ الدلالة الأخرى المتعلقة بالمآل فيها من العمق والبعد ما يحتاج إلى طول نظر من خلال الأسلوب القرآني، أما التأويل الحادث؛ وهو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر، فهذا لا تدعمه اللغة.

وليس حديثُنا هنا عن التأويل المذموم، وإنما عن دلالته اللغوية وربطها بوروده في القرآن، ومدح النبي ﷺ لابن عباس به، ولهذا يمكننا من خلال النظر في مواطنه في القرآن من جهة، واستقصاء ما انفرد به ابن عباس من أقوال من جهة، يمكننا من خلال ذلك أن ندرك بصورة أدق معنى التأويل، وسر اختصاص ابن عباس رضي الله عنهما به.

obeikandl.com

المبحث الثالث :

دلالة صيغة الكلمة (التدبُّر)

لصيغة الكلمة أثر في مدلولها، لهذا رأيت أن أُسلِّطَ الضوء على صيغة هذه الكلمة من الناحية الصرفية ومن الناحية النحوية، وذلك من خلال مطلبين:

المطلب الأول: دلالة الصيغة الصرفية (تفعل).

المطلب الثاني: دلالة الصيغة النحوية (صيغة المضارع).

*** المطلب الأول: دلالة الصيغة الصرفية (تفعل):**

معلوم أن (التدبُّر) هو مصدر الفعل (تدبر)، وهو فعل مزيد، ومعاني الزيادة تظهر في الفعل، ثم تنقل للمصدر، فالحديث عن المصدر سيكون من خلال الحديث عن الفعل، يقول ابن سيدة: «وأمَّا مصدر تفعَّلْت؛ فإنه التَفَعُّل، جاؤوا فيه بجميع ما في تفعَّل، وضمُّوا العَينَ؛ لأنه ليس في الكلام اسمٌ على تفعُّلٍ»[1].

وبناء على ذلك؛ فإنَّه لا بد أن يكون لصيغة هذا الفعل على (تفعُّل) دون غيرها من الصيغ دلالة تتميَّز بها، ويمكن لهذه الدلالة أن توضح المراد وتحدد المفهوم، وحتى يتم ذلك، فيحسن أن نعرف المعاني التي ذكرها الصرفيون لهذه الصيغة (تفعُّل)،

(١) المخصص ٣ / ٤٠٩.

obeikandl.com

(بزيادة التاء في أوله، وتضعيف العين).

يقول العكبري (٦١٦ هـ) في «اللباب»: «وقد اطَّردت زيادةُ التَّاء في الفعل للمعاني، نحو تَفَعَّل وتَفَاعَل وافتعل، وفي مصادرها وفي مصدر فَعَّل نحو قطَّع تَقْطيعًا، فزيادةُ التَّاء والياء عوضٌ من تَشْديد العينِ في الفعل؛ ليدلَّ على التكثير والتوكيد»[1].

وبعد النظر فيما ذكره الصرفيون من دلالات صيغة (تفعَّل)[2]، نستطيع القول: إنَّ كثيرًا من المعاني الواردة مع هذه الصيغة مبني على المطاوعة، حيث إنها تلمح في أغلب المعاني المذكورة، وعادة ما ينص الصرفيون على ذلك، وسأشير إلى ذلك عند ذكر معاني الصيغة التي هي:

التكثير: (مطاوع) (فعَّل) نحو: كسَّرت الزجاج فتكسَّر.

النسبة: (مطاوع) (فعَّل) نحو: قيَّسته فتقيس، أي نسبته إلى قيس.

الاتخاذ: (مطاوع) (فعَّل)، ولا يأتي إلا متعدِّيًا، والاتخاذ يعني: اتخاذ فاعل الفعل، وجعله مفعول أصل الفعل، نحو: تسنم عليٌّ المجد، اتخذه سنامًا.

التكلف: (مطاوع) (فعَّل)، وهو رغبة الفاعل، واجتهاده في حصول الفعل له حقيقة، نحو: تشجَّع، وتحلَّم، وتصبَّر، وتجلَّد، وتكرَّم، وتنوَّه، تقول: تشجَّع المغامر؛ أي: كلَّف نفسه الشجاعة؛ ليتم حصولها.

التَّجنب: (مطاوع) (فعَّل)، وهو للدلالة على السلب، وترك الفعل والابتعاد عنه، نحو: تحرَّج محمد؛ أي: ترك الحرج، وتأثم الرجل. بمعنى: ترك الإثم.

---

(١) اللباب علل البناء والإعراب ١ / ٣١٢.

(٢) ممن فصل في هذا الأمر الرضي في شرحه لشافية ابن الحاجب، انظر تفصيل ذلك في: شرح شافية ابن الحاجب ١ / ١٠٤.

openkandil.com

التدرُّج: (مطاوع) (فعَّل)، وهو العمل المتكرر في مهلة، وهو بهذا يؤول إلى معنى التكثير، وحصول الفعل مرة بعد أخرى، ويأتي للأمور الحسية والمعنوية.

مثال الحسيَّة: جرعت المريض الدواء فتجرعه؛ أي: شربه جرعة بعد جرعة.

ومثال المعنوية: علمت التلميذ المسألة فتعلمها؛ أي: علمها مرة بعد مرة.

التأصيل: (مطاوع) (فعَّل)؛ أي جعل الشيء ذا أصل حقيقة، أو تقديرًا، فالحقيقة نحو: أصَّلته فتأصل؛ أي: صار ذا أصل، ومثال التقدير: أهَّلته فتأهَّل؛ أي: صار ذا أهل، وقد يكون مطاوع «فعَّل» الذي معناه جعل الشيء نفس أصله حقيقة، أو تقديرًا، مثال الحقيقة: تزبَّب العنب؛ أي صار زبيبًا، والتقدير نحو: تكلَّل الشيء؛ أي: صار إكليلًا.

بمعنى «استفعل»: وذلك فيما يتعلق بالطلب والاعتقاد؛ لأنهما مختصان بـ «استفعل»، فالطلب نحو: تنجزته؛ أي: استنجزته، بمعنى: طلبت نجازه، وهو الحضور والوفاء به، والاعتقاد: وهو تصورك الشيء أنه على صنعة أصله، نحو: تعظمته؛ أي: استعظمته، بمعنى: اعتقد فيه أنه عظيم.

بمعنى «فَعَلَ»، نحو: تظلمني؛ بمعنى: ظلمني، وتجهَّمت الرجل؛ بمعنى: جهمته؛ أي: كلحت في وجهه، ومنه حديث دعاء الرسول: «**إِلَى مَنْ تَكِلُنِي، إِلَى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي**»؛ أي: يلقاني بالغلظة والوجه الكريه.

ولعله اتَّضح من خلال هذا العرض لأهم معاني هذه الصيغة كيف أن المطاوعة كانت السمة الأظهر فيها، والعامل المشترك بين أكثرها، وحتى لو كانت المطاوعةُ واردةً في صيغ أخرى، فإن المعاني المذكورة مع هذه الصيغة، والبنية التي وردت عليها، تحدِّد نوع الدلالة فيها، وتمنحها السمةَ المميزةَ لها، عن (تفاعل، وانفعل) على

سبيل المثال.

وشيوع المطاوعة في هذه الصيغة عمومًا يجعلنا نستحضر معناها في حديثنا عن التدبُّر، وإن لم يكن ذلك ظاهرًا في الفعل(تدبَّر)؛ لأنه ليس مطاوعًا لـ(دبَّر)، ذلك أنَّ المطاوعة لا تكون عادة إلا بعد جهد ومشقة، حتى لكأن هذا المطاوِع كان مستعصيًا ثم لان وطاوع، والتدبُّر يحتاج إلى تعقب ونظر في العواقب إلى أن يحصل له مراده، وهذه بعض دلالات المطاوعة.

كما أننا إذا نظرنا إلى المعاني الأخرى الواردة، واستحضرنا معنى (التدبر) ومجاله وهو القرآن، عرفنا بعض السمات والصفات التي ينبغي للمتدبِّر التحلِّي بها، ويمكننا لحظُ ذلك من معنيين على وجه الخصوص هما: (التكلُّف) و(التدرُّج) المراد منه حصول الفعل مرَّة بعد مرَّةٍ، ومرحلة بعد مرحلةٍ، فالأول يُشعر بضرورة بذل الجهد، والثاني يُبين ضرورةَ التدرُّج والتتبُّع مرحلة مرحلة، لسبر أغوار أسرار القرآن، ولعل هذا يلتقي بوضوح مع المعنى اللغوي لمادة (التدبر)، مما يمكِّننا من رسم معالم واضحة لمنهجية التدبر تتمثل في: (الصبر، وبذل الجهد، والتدرج).

* المطلب الثاني: دلالة الصيغة النحوية (صيغة المضارع):

الحديث هنا عن الصيغة التي وردت عليها المادة في القرآن، وبالنظر في تلك الصيغة نجد أن التدبُّر جاء في القرآن في أربعة مواضع هي:

قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ

﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون:٦٨]، وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩].

وعند تأمل هذه الآيات يمكن لمح الدلالات الآتية:

١- أنَّ هذه المادة (التدبر) لم تذكر في القرآن إلا مع القرآن، بينما ذكر مع غيره التفكر والتذكر والنظر، ولكل منها معناه الخاص به، على ما سبق بيانه.

٢- أنَّ الصيغة التي جاءت عليها هذه المادة هي (الفعل المضارع) بالفك (يتدبرون) والإدغام (يدبروا)، وقد تنوَّع معها ما يدل على القرآن معها، فقد ورد لفظ (القرآن) معرَّفًا مرتين، وورد لفظ (القول) معرَّفًا مرة واحدة، وورد لفظ (آياته) معرَّفًا بالإضافة مرة واحدة.

ومن خلال كلِّ هذا يمكننا إدراك معان أخرى يمكن أن تتكامل مع ما سبق، فصيغة الفعل -وخصوصًا المضارع- لها دلالات لا بد من استثمارها، وقد ألمح البلاغيُّون في دلالة المضارع في مقابل الاسم إلى بعض الفروق، ولعل أهمها: أن المضارع يدلُّ على التجدُّد والحدوث، أو ما يمكن التعبير عنه بالاستمرار التجددي، والاسم يدل على الثبوت، كما أنه يدل على الحركة بخلاف دلالة الاسم على السكون غالبًا، كما أنه أقدر من الاسم على استحضار الصورة، فإذا قلنا: فلان يركب، كان المضارع ناقلًا للصورة، ودالًّا على الحركة، وليس شرطًا أن يكون ذلك متجدِّدًا.

وإذا أردنا أن نستثمر كل هذا في دلالة المضارع الوارد معنا هنا، لأمكننا القول بأن المراد هو الحث على التدبر بطريق الإنكار لضدِّه (عدم التدبر)، بأسلوب يشعر بضرورة تجدد ذلك كلَّما دعا له داع، أو وجد له سبب.

وهذا الأمر يتناسب مع قضية التدبر، التي لا يتصور فيها أن الإنسان سيكون

متدبِّرًا كلَّ وقته، لكن ينبغي أن يتحرَّك عنده هذا الهاجس كلما طرق سمعه القرآن، أو تحرَّك به لسانه، أو قرأته عيناه، وهذا يعني أن (التدبر) حدثٌ متجدِّدٌ مع أسبابه ودواعيه.

فدلالة المضارع في الشواهد كلِّها مؤشِّرٌ مهمٌّ على ضرورة الاستمرار المتجدِّد في هذا الشأن، ذلك أنَّ مِنْ أهمِّ دلالات هذه الصيغة التجدد والحدوث.

*** الخلاصة:**

لعله اتَّضح مما سبق ما يأتي:

تآزر دلالة المادة (دبر) مع دلالة الصيغة في إظهار سمات محددة يمكن جمعها فيما يأتي:

أ- النظر في المقاصد والغايات.

ب- التدرُّج، والحدوث، والتجدُّد.

ج- بذل الجهد.

د- الصبر، والتحمُّل.

أنَّ أقرب المرادفات للتدبُّر هو التأويل لاجتماع الكلمتين في دلالة المآل والعاقبة، مع فروق في الوضوح والخفاء.

اختصاص (التدبر) بالقرآن؛ فلم يرد إلا معه، وهذا يوجب -في نظري- عنايةً خاصَّةً بالآيات التي ورد فيها التدبُّر، واقترح أن يكون هناك ملتقًى آخر خاصًّا بها (تحليلًا، وتفسيرًا، وموازنةً)، ويمكن أن تدرس فيه الفروق بين (النظر، والتفكر، والتأويل، والتدبُّر) من خلال القرآن، وهذا ما يمكن أن يوجد منهجًا معينًا في محاولة

تُحدِّد مفهوم هذه المصطلحات.

تنوُّع ما يدل على القرآن مع التدبر، فمرَّة يذكر القرآن، وهو الأكثر، ومرة يرد القول، ومرة ترد الآيات، ولعل هذا يشير إلى مجالات التدبر، وأن أدناها الآية، وأوسعها القرآن كله، وقد يكون فيه إشارة المقروء والمسموع منه.

هذا ما تيسر بيانه على ضيق في الوقت، وأسأل الله العون والتوفيق.

وكتبه

د. عويض بن حمود العطوي

عميد كلية المعلِّمين، ورئيس قسم اللغة العربية

جامعة تبوك

الثلاثاء ١/ ٥/ ١٤٢٩ هـ

openkandl.com

obeikandl.com

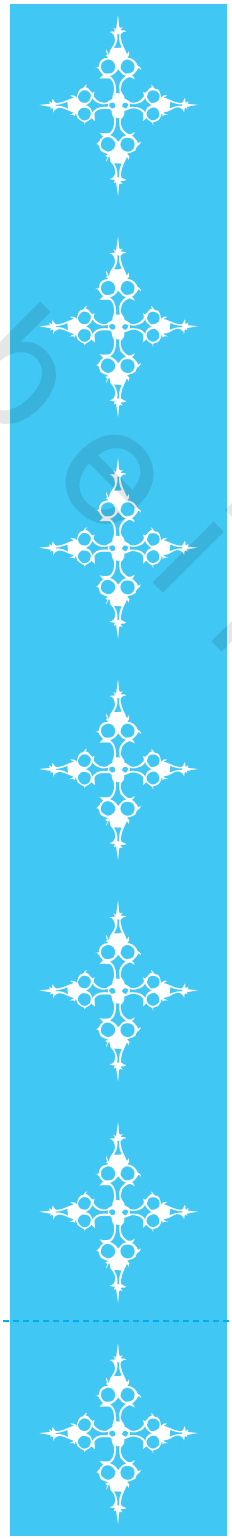

تعقيبات الجلسة الأولى

د. سليمان بن إبراهيم العايد

التعقيب الأول

من أصعب الأعمال: تفسير الواضحات، ومن هذه الواضحات (التدبر)، ويحسن بالقارئ أن لا يُغفلَ معجمًا يعنى بألفاظ القرآن ومفرداته، مثل «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب الأصفهاني المتوفى سنة: ٥٠٣هـ، شرح فعل (تَدَبَّر)، ومضارعه (يتدبَّر)، ومصدره (تدبُّر).

التدبر فعل يخاطب به الأمة كلها، ولا يختص بذلك أهل العلم، فكما أن العالمَ مطلوب منه التدبر، وكذلك العامي ومن لا يملك أدوات علمية تؤهله يمكن أن يقع منه التدبر، وقد يصل إلى ما يصل إليه أهل العلم، وقد يفتح الله عليه بسبب نور بصيرته ما لا يفتحه على العلماء.

أذكر أن عاميًّا رأى شخصًا يجمع الناس حوله فيجتمعون، فقال: إن فلانًا - يقصد هذا الذي يجمع الناس- يدعو إلى نفسه.. ولو أخلص دعوته لوُفِّق، أخذًا من قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨]، وهذا معنى عزيز قد يغيب عن كثير من الدعاة والمشتغلين بالعلم.

شرع الإسلامُ أمورًا تُعين على التدبر والتفكر في المتلوِّ، ومن ذلك ما في قوله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء:١٠٦]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ [المزمل١-٦]، فهذا أمرٌ بالتلاوة في وقتٍ يعين على التأمل والتفكر، وهو وقت صفاء الذهن وفراغ الخاطر، واستعداد الفكر والقلب.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان:٣٢]، وما اختص به القرآن من التلاوة والتجويد الذي يحمل الإنسان على التأمل والتدبر والنظر، أمر لا يكون مع كلام غيره، وهو مما أمر به، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»، وزاد غيره: «يجهر به». [أخرجه البخاري].

وقد رد الشافعي على مَن فسر التغني بالاستغناء في حديث: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»، فقال رجل: يستغن، هذا منسوب إلى سفيان، فقال: لا، ليس هذا معناه، بل معناه: يقرأ حدرًا وتحزينًا.

قال أحمد: الرواية الأولى عن أبي سلمة تؤكد ما قال الشافعي، وكذلك ما روي عن البراء بن عازب مرفوعًا: «زينوا القرآن بأصواتكم»، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»، قال ابن عباس: إني لأحدو به كحدو الراكب. [الحديث في مسند أبي عوانة].

وقد أمر بالتفكر في صدق مَن أُنزل عليه القرآن: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم

بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [سبأ:٤٦]، وقد نهينا عن التكثر من ختم القرآن الناتج عن الإسراع في تلاوته، كما في حديث عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «صم من الشهر ثلاثة أيام، فقال: إني أطيق أكثر من ذلك، فما زال حتى قال: صم يومًا وأفطر يوما، قال اقرأ القرآن في كل شهر، قال إني أطيق أكثر من ذلك، فما زال حتى قال: اقرأه في ثلاث». [رواه البخاري عن محمد بن بشار]

وقد نهاه رسول الله ﷺ عن ختم القرآن في ليلة، كما في حديث عبد الله بن عمر؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «في كم تقرأ القرآن؟ قال: قلت: في كل ليلة. قال: فلا تفعل ولكن اقرأه في ثلاث». [الحديث في «شعب البيهقي»]، والحديث يروى بألفاظ متقاربة المعنى..

عن أبي حمزة قال: قلت لابن عباس: إني سريع القرآن، أقرأ القرآن في ثلاث، قال: لئن أقرأ القرآن في ليلة أتدبرها وأرتلها أحب إلي من أن أقرأه كما تقرأ.

وفي «شعب الإيمان» للبيهقي: كان ابن مسعود يقرأ القرآن في ثلاث لا يستعين عليه بالنهار إلا باليسير.

وروي من وجه آخر أنه كان يختمه في رمضان في ثلاث، وفي غير رمضان من الجمعة إلى الجمعة..

هذه مقدمة.. الذين يكتبون ويتعلقون بالجانب اللغوي يخطئون حين يهجمون على ما يدونه المعجميون في تبويب مادة مجردة؛ لأنهم يجانبون المطلوب؛ لأن ما يدرجه أصحاب المعاجم متوجه للعملية التنظيمية التي تنصرف إلى الناحية اللفظية الشكلية، فيدخل تحت المدخل معان ليس بينها صلة، وإيرادها من باب التكثر الذي لا تدعو إليه حاجة، ولا تتوقف عليه مصلحة، فالمداخل عملية تنظيمية قصد منها تنظيم المادة

المعجمية، ولا يلزم أن يكون ما تحتها مشتقًا من مادة واحدة ذات معنى واحد، وهذا ما يمكن أن نسميه الاشتقاق الصوري، وخلاف الاشتقاق الصرفي الذي يقوم على ركنين: اللفظ والمعنى، فالاشتقاق الصرفي يختلف عن الاشتقاق الصوري كما يظهر، فالاشتقاق الصوري الذي بنيت عليه المداخل معجمية، والذي يبنى على اللفظ دون المعنى فنحن نجد في مادة ضرب (ضرب زيد عمرًا) و(ضرب له بسهم)، (وضرب في الأرض)، والضرب بمعنى النوع والنمط، ولا داعي لمن يتحدث عن معنى من هذه المعاني أن يوردها كلها، بل عليه أن يقتصر على ما يجمع بين اللفظ (المادة والمعنى)، والاشتقاق الصرفي، وما يفعله كتبة العصر حين يتحدثون عن التعاريف من التزيدات التي لا داعي لها، ومبعثه الرغبة في الإطالة وزيادة أحجام المقالات والمصنفات، ولا ألوم زميليَّ حينما تحدث أحدهما عن شروط بلوغ منزلة المتدبرين، والآخر عن المادة اللغوية والتصريفية التي يكفي منها القليل..

التمس د. عويض معناه من خلال المادة اللغوية، ومكونات المادة الأصلية، ومن خلال النظر إلى المعنى الصرفي، وهو معنى كلي مرده إلى الصيغة التي تدل على معانٍ منها: التكلف، وقد ذكر الصرفيون من معاني التكلف تفعَّلَ مثل تشجَّع وتحلَّم، والعمل المتكرر في مهلة نحو (تجرعته)، ومنه: تفهم، وهذان المعنيان ظاهران في تدبر، فالتدبر إنما يكون في بدايته معاناة، ويحتاج إلى بذل غير عادي، حتى يصير ممارسة، ثم يرتفع إلى أن يصير عادة، ثم يرتقي درجة إلى أن يكون مهارة، ثم يرتقي درجة فيصير سجية لا يستطيع الإنسان أن ينفك منها، ولا يستطيع قراءة القرآن بدونها، إنما الحلم بالتحلم، والصبر بالتصبر، وقد يربط بعضهم بين المطاوعة والتكثير في هذه الصيغة، كما قال الرضي: وتفعل الذي للعمل المتكرر في مهلة، مطاوع فعل الذي للتكثير،

نحو (جرعتك الماء فتجرعته)، أي: كثرت لك جرع الماء، فتقبلت ذلك التكثير، وفوقت لك اللبن فتفوقته، وحسيتك المرق فتحسيته، أي: كثرت لك اللبن..إلخ.. ومنه تفهم.

وحين قال: مِنهُ؛ لأن معنى الفعل متكرر في مهلةٍ ليس بظاهر فيه، لأن الفهم ليس بمحسوس كما في التجرع والتحسي، فبين أنه منه، وهو من الأفعال الباطنة المتكررة في مهلة.

هذا؛ والظاهر أنَّ تفهَّمَ للتكلف في الفهم كالتسمع والتبصر. (انتهى كلام الرضي)

ويحسن التنبيه إلى أن التدبر لفظًا أو معنى لا يختص بالقرآن إذ كل ما ورد لا يعدو أن يكون استعمالاً، والاستعمالات لا تتنافى بل تتآخى على اللفظ الواحد، ولا أرى محظورًا من استعمال اللفظ في غير القرآن، والكلام جارٍ بنحو (تدبر أمره)، أي: نظر فيه. [ينظر الفروق اللغوية للعسكري]

والفرق بين المكر والكيد.. إلخ.

(وفلان يتدبر أعجاز أمور قد ولت صدورها)، إلخ.

والتدبر التفكر، أي: تحصيل المعرفتين لتحصيل معرفة ثالثة.

ويقال: (عرف الأمر تدبرًا) أي: بأخرة.

قال جرير:

ولا تتقون الشر حتى يصيبكم ولا تعرفون الأمر إلا تدبرَا

قال أكثم بن صيفي لبنيه:

يا بَـنِـيَّ لا تتـدبـروا أعجــاز أمــورٍ قد ولَّـت صدورُها

وقد أورد الباحث الكريم أنَّ التدبر ورد في القرآن أربع مرات، مرتين مع القرآن ومرة مع القول، ومرة مع الآيات، وليت الباحث يراجع مقالته هذه، لما ذكر أن الفعل المضارع يدل على الحركة، والاسم يدل على السكون، والمعروف أن المضارع يدل على التجدد والاسم يدل على الثبوت، وفرق بين الثبوت والسكون.

هذه الملحوظات اللغوية أتركها له..

حديث أبي هلال العسكري عن الفروق لا يعدو أن يكون وجهة نظر، هي محل خلاف، فالدكتور عويض نقل قول المناوي: (التأويل: تدبر الشيء وإعادة النظر فيه مرة بعد أخرى ليتحققه)، علمًا أن التفسير لا يلزم منه توافق اللفظين من كل وجه، والمستعمل للألفاظ لا ينْزع لهذا التأمل، وأستحضار أصل المعاني، والنظر فيما يكون بين اللفظين من فرق لا يلحظه المستمع، وقد جعل الدكتور عويض التأويل قريبًا من معنى التدبر، والحقيقة أن بينهما فرقًا، ذلك أن التأويل فيه تفسير، والتدبر لا يلزم منه هذا المعنى، فقد يتدبر الإنسان ولا يفسر، بل أكثر التدبر غير مكتوب، ولا مدون، وهو يتعلق بالشخص، وفائدة خاصة، بخلاف التأويل والتفسير، وهذا المعنى استدركه الدكتور عويض في آخر مقاله بقوله: فالتدبر مطلوب محثوث عليه، متاح لكل الخلق ممن ملك الأداة، والتأويل محصور في أهل الرسوخ أمثال حبر الأمة، حتى لكأن التأويل يبحث فيما خفيت دلالته، وصعب على سائر الناس إدراك المراد منه..

فرَّقَ الدكتور عويض بين فعَّل وتفعَّلَ، فجعل الأول صيغة صرفية، وجعل الثانية صيغة نحوية، وكلاهما من الصرف؛ لأن النحو إنما يعنى بالتراكيب، والصرف إنما يعنى بالأبنية والصيغ، وقد يطلق النحو ويراد به الكل، (النحو والصرف)، كما توسع بإيراد معاني تفعل، فنقل كل ما أورده الصرفيون، وهذا تزيد لا لزوم له، وليته

اكتفى بمعنيين، (التكلف والتدرج)؛ لأن بقية المعاني بعيدة عن المقصود من معنى التدبر.

وربط التدبر بالمطاوعة فيه نظر، إذ ليس فيه مطاوعة، إذ المطاوعة قائمة على فِعْلٍ فِعْلٍ معينٍ من طرفٍ، والاستجابة له من طرفٍ آخر، مثل: (كسرتُ الزجاجَ فانكسرَ)، (وقضضت الجدار فانقض)، وليست المطاوعة إجابة الأمر والطلب.

التدبر في حقيقته مبادرة، واستجابة التدبر لأمر الله، وليس فيه المعنى الممنوح مثل (فهمته فتفهم)، (علمته فتعلم)، (وجهته فتوجه).

ربط الأستاذ د. صالح العايد، بين شيئين لا يلزم الربط بينهما فهو يقول: وإن لبلوغ منزلة المتدبرين للقرآن، وللوقوف على مدى منزلته وإعجازه ثلاثة أركان: الأول: فهم علوم اللغة، والثاني: الإخلاص، والثالث: الذوق السليم.

وهو غير لازم، المهم في الموضوع أن لا نجنح إلى ربط التدبر بإدراك وجوه الإعجاز، أو إدراك سر التعبير القرآني، فالتدبر عمل خوطب به الجميع، بل خوطب به الكفرة، ولم يقصر طلبه على النخبة والمعنيين بالإعجاز والراسخين في علوم العربية، وكأني بأخويَّ قد سلكَا أو تابعَا الزمخشري حين قال مقالةً طويلة -أورد الدكتور صالح بعضًا منها-.

وربط د. صالح بين التقوى وفهم معاني حقيقة الوحي، وظهور أسرار العلم له، ولا أدري صحة ذلك، إلا أن يكون قصد أن التقوى مظنة التوفيق في التأويل؛ لأن قصارى هذا القول أن يكون كلمة لبعض أهل العلم ورأيًا يحتاج إلى دليل، فكم من قاس قلبه يريد الهداية، كان الاطلاع على القرآن سبب هدايته، فالتدبر وإن كان من معرض كافر قد يكون سبب الهداية، كما حصل في قصة إسلام عمر بن الخطاب،

ولهذا أقترح على أخي د. صالح مراجعة مثل هذه المقالة، قد يقول إن ذلك خاص بمن يشتغلون في علوم القرآن، غير أن التدبر غير مقصور عليهم؛ لأنه أمر خوطبت به الأمة، بل إن التدبر ورد في الآيات الأربع ضمن سياق يخاطب غير المؤمنين، الآيات الأربع كلها وردت في سياق مخاطبة غير المؤمنين، ولم ترد في خطاب المؤمنين..

*** الخلاصة:**

أن كل ما ذكر إنما يتوجه إلى جهة خاصة تعنى ببيان وجوه الإعجاز والوصول إلى تفسير قد لا يدركه عامة المفسرين، وهل يحرم من لا تتوافر فيه هذه الشروط الثلاثة من نعمة التدبر، وهي أساس الهداية..

إن معنى التدبر الذي ذكره الإخوان معنى مقبول؛ لكن هل لنا أن نقصر ما جاء في القرآن عن التدبر في هذا المعنى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ:٤٦].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

وكتبه

د. سليمان بن إبراهيم العايد
أستاذ العلوم اللغوية
جامعة أم القرى

obeikandl.com

د. عبدالعزيز بن حميد الحميد

التعقيب الثاني

بذل الباحث الكريم د. عويض العطوي جهده مشكورًا لبيان معنى التدبّر؛ فسلك عدَّة مسالك لبيان مفهوم التدبُّر، ويمكن إيضاح ذلك فيما يلي مع بعض الوقفات حولها:

المسلك الأول: اهتمَّ ببيان معاني مشتقات مادة (دبر) محاولةً منه للوصول إلى معنى (التدبُّر)، فقد جعل المبحث الأول بعنوان: دلالة مادة (التدبر) في اللغة، واستعرض مشتقات مادة (دبر) مع بيان معانيها على النحو التالي:

الذهاب والانصراف: ذكر تحته (الإدبار والدُّبور) للدلالة على هذا المعنى.

مؤخرة الشيء: ذكر تحته (الدُّبُر والدَّبْر) و(الدابر من السهام، والدابرة أي العرقوب)، ومما يُلحظ عليه أنه جعل منه قولهم (الدلو بين قابل ودابِر)، والذي أراه أنه من المعنى الأول أي الانصراف.

عواقب الأمور: ذكر تحته (التدبير) وهو النظر في عواقب الأمور.

ومما يلحظ عليه أنه فسر التدبير بعواقب الأمور، وإنما هو النظر فيها فيكون العنوان الصحيح (النظر في عواقب الأمور).

كما أنه ذكر معه (التدبُّر) لمعرفة الأمر بأخرة، وليس هذا من (النظر في عواقب الأمور).

التقاطع والهجران: ذكر تحته (التدابر) للمصارمة والهجران.

التجاوز: ذكر تحته (دَبَرَ السهم الهدف) أي جازه.

التتبع والتعقّب: ذكر تحته (دَبَرَ) أي تَبِع، والدابِر التابع، و(استدبرَ) أي تَبِعَ.

ومما يلاحظ عليه أن معاني هذه المشتقات تدل على التَبَع لا التتبُّع، وبينهما فرق.

كما أن التعقُّب أورده الباحث وفسَّره بـ (التدبُّر). ويتضح هنا أنه جمع عددًا من المشتقات تحت معنى واحد.

ريح خاصة: ذكر تحته (الدَّبور) لنوع من الريح.

ويلاحظ على ما مضى:

١- لا أظنُّ أن إيراد معاني مشتقات المادة الواحدة ستقرِّبنا من معنى المشتقِّ المراد، وهو (التدبُّر) هنا، فهو مشتقٌّ من ضمن المشتقات العديدة للمادة، ومما هو معلوم اختلاف معاني مشتقات المادة الواحدة، من جهة كونها مشتقات ثلاثية أو غيرها، وكونها مزيدة أو مجردة، ويكثر جدًّا أن يكون لكل مشتقٍّ معنى لا علاقة واضحة له بمعنى المشتقِّ الآخر.

٢- لم يكن عنوان المبحث دقيقًا، فهو ليس (دلالة مادة التدبُّر في اللغة) بل (دلالة مشتقات مادة: دبر)، وإن كان قصدَ دلالة المادة التي اشتقَّ منها (التدبُّر) فهو ليس دقيقًا كذلك، فهي ليست دلالة مادة (دبر) بل مشتقاتها، ومما يوضح قصده بعد ذكر مادة (دبر) قوله: «وهذه المادة تدل على معانٍ عدة هي».

٣- (التدبُّر) إحدى مشتقات (دبر) لا أصل المادة، ولذا فلها معنى خاصّ كما لأخواتها معاني خاصَّة، وهو ما ينبِّهنا لكيلا نحمل بقيَّة المشتقات على كلمة (التدبُّر)،

وهو ما قد يتوهَّم القارئ من صنيع الباحث، مع أنه لم يرد ذلك. ومع أنه أورد معاني بعض المشتقات لكنَّ بيان تلك المعاني لا يوضِّح معنى (التدبُّر)، بل ما يقرِّبنا من ذلك هو معرفة المعنى العامِّ لمادة (دبر)، وهو ما ذكره في الصفحة الرابعة من بحثه نقلاً عن ابن فارس في أن أغلب المشتقات تدلُّ على (آخر الشيء وخَلْفه أي خلاف قُبُله).

المسلك الثاني: أتعب الباحث نفسه للوصول إلى معنى (التدبُّر) وسلك مسلكًا آخر غير بيان معاني أخوات (التدبُّر) من المشتقات الأخرى للمادة، بل بالبحث عن الكلمات التي فُسِّرَتْ بالتدبُّر، وهي:

الحرث: استدل بتفسير الزمخشري لـ (حرثتُ القرآن) بـ: أطلت دراسته وتدبُّره.

التطفيل: وأورد تفسير الزمخشري لتطفيل الكلام وترشيحه بالتدبُّر.

وعلى طريقة الباحث كان الأولى جعل عنوان هذا التفسير (التطفيل والترشيح).

الفَلْي: ذكر تفسير الزمخشري لفَلْي الشِعْر بالتدبُّر والتفتيش في معانيه.

الاقتداح: ذكر تفسير الزمخشري لاقتداح الأمر بالتدبُّر.

التعقُّل: ذكر تفسير التعقُّل بالتدبُّر.

ويظهر من استعراض الكلمات السابقة مجيء التدبُّر في شرحها، وهو إشارة إلى التقارب بين تلك الكلمات والتدبُّر، ويظهر لي أن التقارب بين هذه الكلمات والتدبُّر أكثر من تقارب المعاني التي ذكرها الباحث في بداية بحثه مع معنى التدبُّر.

كما أنَّ تفسير الألفاظ الخمسة السابقة بالتدبُّر يأتي في أغلبها على المجاز.

المسلك الثالث: سعيًا من الباحث الكريم إلى تحديد معنى التدبُّر فقد جعل المبحث الثاني: **الفروق الدلالية بين التدبر ومرادفاته من حيث اللغة**، فأبان الفرق بين التدبُّر ومرادفاته (التفكُّر، والنظر، والتأمُّل، والتفسير، والتأويل)، وأراد بذلك

التأكيد على تميّز التدبُّر عن غيره من المرادفات، لكنَّه في بيانه التقارب بين معاني (الحرث، والتطفيل، والفلي، والاقتداح، والتعقُّل) استدلالاً بمجيء التدبُّر تفسيرًا لها –وهو ما ذكرتُه في المسلك الثاني– قد يجعلنا نظنُّ أن هذه الكلمات من المطابقات للتدبُّر، وما أظنُّ الباحث الكريم أراد هذا، وكما هو معلوم فإن من ينفي الترادف بين الألفاظ وخاصَّة في القرآن يدرك تميُّز (التدبُّر) عن غيره.

المسلك الرابع: اجتهد الباحث في بيان دلالة صيغة (تَدَبَّر) في المبحث الثالث وعنوانه: **دلالة صيغة الكلمة (التدبر)**، فأورد دلالتها الصرفية ببيان معاني صيغة وزنها (تَفَعَّل)، وذكر سبعة معانٍ جاء الفعل فيها مطاوعًا لفعل آخر، إضافة إلى مجيئها بمعنى (استفعلَ)، و(فَعَلَ)، أي أن سبعةً منها جاء الفعل معها مطاوعًا لفعل آخر، وهو ما يدلُّ على غلبة المطاوعة على معاني هذه الصيغة، لكنَّ الباحث جعل ذلك مؤشرًا مهمًّا في موضوع التدبُّر، فالمطاوعة لا تكون إلا بعد جهد ومشقَّة، حتى لكأن المطاوِع كان مستعصيًا ثم لانَ وطاوعَ، وهذا يوجب على المتدبِّر إطالة النظر، والتأني والصبر.

لكني أتساءل:

ما قيمة إيراد معاني صيغة (تَفَعّل) وأكثرها للمطاوعة، مع أن (تَدَبّر) ليس مطاوعًا لـ (دَبّرَ) كما قد نتوهَّم من كلامه؟

لعل الأقرب في بيان معنى (تَدَبّر) ما ذكره من دلالته على التكلُّف والتدرُّج، أي بذل المتدبِّر الجهد وتكلَّفه، مع التدرُّج والتتبُّع مرحلة مرحلة.

ولبيان معنى التدبُّر أوردَ دلالة صيغتها النحويَّة، وذكر أن التدبُّر جاء في أربعة مواضع في القرآن الكريم، لكنَّه وقف عند ورود الكلمة بصيغة المضارع، وألمحَ إلى أنها تدلُّ على التجدُّد والحدوث، بينما الاسم يدلُّ على السكون غالبًا، والذي يظهر لي

أنه لا عجب من مجيء المضارع في الآيات الكريمة؛ فالتدبُّر مقصود ومحضوض عليه، وهو ما جاءت عليه الآيات الثلاث، والمضارع هو المناسب هنا، وفي الرابعة جاء التدبُّر علَّةً لإنزال القرآن، وهو ما يناسب المضارع، ولا أظنُّ أن التجدُّد والحدوث مقصودان هنا، وإنَّما دلالته كدلالة أيِّ مضارع يستدعيه السياق.

وأحسب أن السياق لو استدعى مجيء الكلمة بصيغة المصدر لدلَّت على ما يدلُّ عليه المضارع في هذه الآيات الكريمة.

وقد يكون بيان معنى (تَدَبَّر) أيسر من المسلك الذي سلكه الباحث الكريم، وهو بيان المعنى اللغوي المباشر لهذه الكلمة، فالمادة الأصلية (دبر) تدلُّ في أكثر معانيها -كما ذكر ابن فارس- على آخر الشيء وخَلْفه، وأكثر مشتقاتها تدور حول هذا المعنى، لكن (التدبُّر) لكون صيغتها (التفعّل) تدلُّ على التكلُّف والاجتهاد لمعرفة آخر الشيء، ولكون القرآن في عظمته يحتاج إلى الاجتهاد في فهمه والتعمُّق فيه، لذا ورد التدبُّر مختصًّا بالقرآن الكريم. لكنِّي أحسب أن ورود التدبُّر في كلام العرب لما يحتاج إلى التدبُّر فيه دليلٌ على أن هذه الكلمة تدلُّ كغيرها على المعنى الذي تحمله دون اختصاصها بالقرآن الكريم، فالتدبُّر -كما ذكر أبو هلال العسكري- تصرّف القلب بالنظر في العواقب، وهو ما يؤكد أنَّه يمكن أن يجري على أيِّ كلام.

ومِمَّا ورد في كلام العرب عن التدبُّر قول ابن أحمر الباهلي:

لو كنتُ ذا علمٍ علمتُ وكيف ... لي بالعلم بعد تَدَبُّرِ الأمرِ

ومِمَّا ورد في المعاجم عن التدبُّر قول الجوهري: «يقال: كان ذلك الأمر فلتة، أي: فجأة، إذا لم يكن عن تردُّد ولا تدبُّر». «الصحاح» (فلت).

ويُقال: «قَذَفَ بِقَوْلِهِ؛ تَكَلَّمَ مِنْ غَيْرِ تَدَبُّرٍ ولا تَأَمُّلٍ». «المصباح المنير» (قذف).

* يتضح مما سبق أمور أشير إليها باختصار:

١- بذل الباحث الكريم جهدًا كبيرًا لبيان مفهوم التدبُّر برجوعه إلى معاجم اللغة والكتب المتخصِّصة.

٢- حينما يتعلَّق الأمر بدلالات الألفاظ فهو أمرٌ دقيقٌ تختلف فيه الآراء والاجتهادات، وقد يغلب أحيانًا الجانبُ النظريُّ على الواقع في اللغة، وقد ثبت أنَّ كثيرًا من الألفاظ يختلف استعمالها في اللغة عمَّا ورد عنها في المعاجم وكتب الفروق، فنجد في اللغة العديد من الألفاظ التي نصَّ بعضهم على وجود فروق بينها، وحينما ننظر في استعمال العرب لها نجدهم يغفلون تلك الفروق ويفسرون بعضها ببعض.

٣- ضرورة البعد عن التكلُّف عند بيان معاني الألفاظ، فلا يكن همُّنا البحث عن أيَّة فروق تُذكر بين الألفاظ، بينما نجد في الاستعمال اللغويِّ ما يُلغي تلك الفروق... ما أعنيه هو عدم التكلُّف في التأكيد على تلك الفروق التي ذكرها بعض العلماء مع إغفال آخرين لها، مع ضرورة العناية بما ثبت لدى اللغويِّين من فروق متَّفق عليها.

٤- لاشتقاقات المادة الواحدة معانٍ مختلفةٌ، لكنَّها قد تتفق في معنى عامٍّ، وما يفيدنا في الوصول إلى معنى إحدى المشتقات هو معرفة المعنى العامِّ مع مراعاة دلالة صيغة الكلمة المقصودة.

٥- مما يساعدنا في إيضاح الدلالة -لا القطع بها- معرفة مرادفات أو مقاربات الكلمة المرادة، إمَّا بمجيء الكلمة المرادة تفسيرًا لها (وفي بحثنا جاء التدبُّر تفسيرًا للحرث والتطفيل والفلي والاقتداح والتعقُّل)، أو بذكر مرادفات للكلمة المرادة (وفي بحثنا ورد التفكُّر والنظر والتأمُّل والتفسير والتأويل مرادفات للتدبر).

٦- عدم تحميل الكلمة المرادة ما لا تحتمل في إضافة دلالات جانبيَّة، وفي بحثنا أشير إلى تحميل الباحث الكريم دلالة المطاوعة إلى التدبُّر استدلالًا بمجيء صيغة

(تفعّل) للمطاوعة في أكثر معانيها، مع أن التدبُّر ليس للمطاوعة، إلى جانب ما قد يتوهَّمه القارئ من اختصاص (التدبُّر) بالقرآن في القرآن الكريم، وأنه لا يصلح لغيره، مع إشارة الباحث إلى دلالة مجيء فعل التدبُّر في القرآن بصيغة المضارع، وهي أنه يدل على التجدُّد والحدوث، مع أن المضارع استدعاه السياق، ولو جاء السياق محتاجًا للماضي لدلَّ الماضي على المعنى نفسه.

٧- يقيني أن الخوض في دلالة لفظٍ قرآنيٍّ لا يخلو من التخوُّف، فيجب علينا الاتِّزان في إبراز الدلالة دون تكلُّفٍ من جانب، مع مراعاة كونه لفظًا قرآنيًّا يحتاج إلى مزيد عناية، ويمكن أن يكون دليلنا نوعان من المصادر: الأول: كتب التفسير الأولى المعتمدة على أقوال علماء التفسير ذوي المعرفة باللغة، والثاني: كتب اللغة من معاجم ورسائل لغويَّة، دون الاكتفاء بمن يبالغ في إيجاد الفروق أو التقريب بين المعاني المتباعدة، وأشير إلى أن أبا هلال العسكري أُخذ عليه تكلفه في إيجاد فروق دقيقة يتعامى العرب في كلامهم عنها، وإلى ابن فارس في تكلُّفه أحيانًا في إيجاد معنى عامّ لألفاظ مختلفة تتفق في المادة اللغويَّة.

أخيرًا:

أشيد بالجهد الواضح للباحث الكريم د. عويض العطوي، مع اعتذاري لهذا الطرح المتعجِّل الذي لا يخلو من اختصار، لكني على يقين أن المطلع والسامع سيثريه بنقده وتقويمه. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

د. عبدالعزيز بن حميد الحميد

الأستاذ المشارك بكلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود

٢١/ ٥/ ١٤٢٩ هـ

obeikandi.com

مداخلات الجلسة الأولى

obeikandl.com

د. شايع الأسمري

المداخلة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم.. مالك يوم الدين، ونصلي ونسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فشكر الله لمن سعى في هذا الملتقى، وبارك الله في هذا العمل، وجعلنا جميعًا مخلصين فيه..

أحبتي في الله..

عندي بعض الملاحظات التي وقفتُ عليها، ولعل الباحث ينتفع بها، وإن كنتُ سُبِقْتُ بها من قِبَلِ أستاذان فاضلان أحسن الله إلى الجميع:

أولًا: في صفحة (٥): ذكر الباحث بارك الله فيه كلام الزمخشري؛ ولم يؤيده بكلام اللغويين الذين سبقوه، وهذا لا يكفي، ونحن نعرف عقيدة الزمخشري، وأن الناس ينفرون مما يقول، وإن كان ما يقوله حقًّا أحيانًا، فحبذا لو يؤيده بكلام اللغويين..

ثانيًا: أؤيد ما ذكره شيخنا الأستاذ الدكتور/ سليمان العايد، أن الباحث في صفحة: (٨)، وصفحة: (٢٠) قال: (لم يرد التدبر إلا مع القرآن)، والشيخ سليمان ذكر أنه ورد في كلام اللغويين، وأقول أيضًا أنه ورد في الصحيحين عن رسولنا ﷺ

obeikandl.com

أنه قال: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت»؛ فأضاف التدبر إلى شأنه وأمره ﷺ، ولا أدري إن كان عند الباحث مقصد آخر فعليه تبيينه..

أيضًا؛ ورد في «مسند الإمام أحمد» عن ابن عباس قال: «تدبرت صلاة النبي ﷺ»، وهذا يؤيد ما قاله الشيخ جزاه الله خيرًا، وهذا من كلام الرسول ﷺ، ومن كلام ابن عباس الذي هو حبر هذه الأمة، وترجمان القرآن، وأعلم بلغة القرآن.

ثالثًا: في صفحة (٨): ذكر الباحث فوارق لغوية، ولا أدري إن كان قصده ذكر الجميع، حبذا لو قال: الفروق الدلالية بين التدبر وبعض مرادفاته، لكان أولى، من باب التعميم.

رابعًا: لم يذكر الباحث رأي بعض العلماء الذين لا يرون هذه الفوارق، فيوجد علماء آخرون منهم أبو عبيدة وغيرهم، والباحث قد أشار إلى ذلك في الحاشية، فما دام أن بعض العلماء لا يرون هذه الفوارق، فلا ينبغي أن نسكت عن رأيهم، فقد يكون في هذا ظلم..

هذا ما تيسر لي من ملاحظات..

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

obeikandl.com

د. أحمد الزهراني

المداخلة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فأشكر جهود منظمي هذا اللقاء، وبارك الله فيهم، وأرجو التواصل والاستمرار.

وأعتبر هذه من المبادرات النابعة عن التفكير وعن الهم وعن الواقع المشاهد.. كما أشكر أصحاب الورقتين، والمعلقين عليها، وبارك الله جهدهم وجزاهم الله خيرًا..

وملاحظاتي هي:

أولًا: لماذا كتب في عنوان الورقة: (التدبر عند أهل اللغة وعند المفسرين)؟

فنحن نعترض على الفصل بين أهل اللغة وبين أهل التفسير؛ لأن أهل اللغة هم أهل التفسير، والأزهري رحمة الله عليه في كتابه القيم استدلالاته اللغوية يعززها كثيرًا جدًّا بالآيات القرآنية، فلذلك ما كنت أحب أن أرى هذين العنوانين في الورقة (عند أهل اللغة وعند أهل التفسير)، فإذا مر السابقون فلا نؤكد نحن الفصل بين الاثنين؛ لأن أهل اللغة يشطحون في تفصيلاتهم ويقصرون معاني القرآن على معاني اللغة فقط، مع أن معاني القرآن تشمل أكثر من ذلك..

ثانيًا: لماذا نشترط في التدبر شروط الزمخشري، فهذه قضية خطيرة، كشروط أهل

الفقه في القاضي، والتي لا تتمثل حتى في الصحابة، فيأتي الزمخشري -عفى الله عنا وعنه- فيضع شروطًا، ثم يأتي أهل المذهب السلفي لتكريس آراء الزمخشري وغيره، فهذا لا ينبغي.

ثالثًا: هناك مصطلحات ذكرت في القرآن تركها الإخوان، وإن كنت أخص الأستاذ عويض جزاه الله خيرًا.. لعل لها مدخل في الموضوع..

فقد ذكر هو أربعة مصطلحات في ظني: (التفكر والنظر، والتأمل، والتفسير، والتأويل)؛ لكن أيضًا ورد في القرآن: (الإنصات، الاستماع، أجيبوا، تحروا)، هذه كلها تدخل في التدبر، في ظني.. لكن إذا أخذنا الكلمة لمجرد المعنى اللغوي فحسب، فسنبتعد عن هذه المصطلحات.. وفي ظني أن من ضمن أهداف هذا اللقاء أن ننقل معاني التدبر ونبينها، حتى نرجع إلى كتاب الله وله أثرٌ في قلوبنا وفي نفوسنا، وحتى تتبين لنا الأحكام.. لأن من أهداف التدبر بيان أحكام الشرع.

رابعًا: من أهداف التدبر بيان الأحكام الشرعية: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾، والآيات في القرآن على نوعين: كونية وشرعية، وهذا لا يخفى، حتى نصل إليه.

ومن المهم أن لا نحصر معاني القرآن على معنى معين، كما يفعل بعض أهل اللغة؛ لأن معاني القرآن أشمل وأكمل، ولذلك كلما نظرنا في تفسير القرآن خاصة «تفسير ابن جرير الطبري»؛ وأعظم مفسر للقرآن هو ابن جرير الطبري -رحمة الله عليه- يجد في تفسيره معاني يفوق فيها من سبقه، أو من ألف مثله، فأرجو عدم حصر معاني القرآن على معنى معين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

د. قاسم بن أحمد القشردي

المداخلة الثالثة

التدبر أمرٌ مهمٌّ وهو الغاية من نزول القرآن، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩]، والمتأمل يجد أن كلمة التدبر جاءت في طريق الاستدلال بالإيمان بالرسالة ومصدرية الوحي أنه من عند الله عز وجل، قال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]، وقد جاء ذكر التدبر على تقرير البعث؛ قال سبحانه: ﴿ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴾ [ص:٢٨]، جاء بعدها ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص:٢٩]، فمن الحقائق الاستدلال على البعث بأنه لا يمكن المساواة بين المتقين والفجار، وإلا لاختل نظام العدل، وتعالى الله عن ذلك.

ونلاحظ كذلك أن الآية ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤]، جاءت بعد قوله تعالى: ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴾ [محمد:٢٢]، وهذا عند الحديث عن المعاصي والزجر عنها.

على كل حال أشكر الأخوين أصحاب الورقتين، وأحب أن أثني على ما ذكره سعادة الأستاذ عويض العطوي؛ من أنه لابد أن تكون المواطن التي ورد فيها ذكر

التدبر في القرآن موضع الاهتمام والدراسة، عندها سنصل بإذن الله إلى نتائج مبهرة فيما أظن.

الاستدلال الذي استدل به وهو قوله جل وعلا: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧]، وددت أن أشير إلى أن أكثر أهل العلم يرون وجوب الوقوف على قوله سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ كما أن الواو في قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧]، هي (واو) الاستئناف، وليست واو العطف على رأي الأكثرية، وأظن أن هذا قول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ إن لم تخني الذاكرة، وأهل اللغة يعرفون هذا جيدًا، فكوننا نستدل على أن الراسخين في العلم يعلمون المتشابه منه بهذه الآية في هذا الموطن فيه نظرٌ، نعم قد يؤتي الله الراسخين في العلم فهمًا، لكن الاستدلال بهذه الآية في هذا الموطن لا أرى أنه يرد، لأن الله عز وجل سبقها بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ﴾ (قف هنا) ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧].

أحببت أن أشير إلى هذا، وأشكر الجميع الداعين والمرتبين والمضيفين وأشكر الباحثين والمعقبين على ما لمسناه من هذه الفوائد.

أ.د. سعود الفنيسان

المداخلة الرابعة

مداخلتي ستكون في كلمتين: الكلمة الأولى؛ خاصة بورقة الدكتور صالح العايد، والثانية؛ خاصة بورقة الدكتور عويض العطوي.

بالنسبة لورقة الدكتور صالح العايد وفقه الله، فقد ذكر ثلاثة أصول للتدبر، وذكر منها ما يسمى بالذوق، وحاول أن يفسر لنا الذوق ويبين أنه لا يمكن أن يميزه إلا الخاصة، أشبه بخاصة الخاصة.

والحقيقة أن الذوق غير منضبط بحال من الأحوال، وهو أقرب ما يكون عند الأصوليين بما سموه (الاستحسان)؛ وهو أمرٌ ينقدح في ذهن المجتهد، ولا يستطيع التعبير عنه، فالذوق لا يجوز أن يفسر به القرآن وإن جاز في جانب الأساليب البيانية والأدبية واللغوية، فهو مدخلٌ كبيرٌ لأصحابه، وأكيد أن الدكتور صالح لا يريد ذلك مطلقًا.

وكلمتي الثانية؛ خاصة بورقة الدكتور عويض العطوي:

وإن كنت سُبِقْتُ من قِبَلِ الإخوان الذين عقبوا على هذه النقطة فأحب التأكيد على ما قالوا، وهي قوله: (إن التدبر جاء في سياق الآيات المتلوة المسطورة)، والحقيقة

obeikandl.com

أن الآيات أعم من كونها مسطورة، فهي منظورة ومسطورة، والتدبر يكون في آيات الكون، وفي الآيات المتلوة في آن واحد، ولا يمكن أن تفسر هذه بدون تلك.

ثم أيضًا؛ فالتدبر في هذا المعنى في الآيات المسطورة على وجه الخصوص، فمادة التدبر ليست من أفعال المطاوعة بحال من الأحوال، وأشكر للجميع.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

obeikandl.com

أ. باسل الرشود

المداخلة الخامسة

الحمد لله الذي بعث في العرب الأميين رسولاً منهم، يتلو عليهم آياته ويزكيهم، أما بعد:

فأشكر للمشايخ الباحثين والمعقبين، فبحث الدكتور عويض حفظه الله بحثٌ يفتح أبوابًا لفهم المعنى، وقد نختلف معه ونتفق، كذلك تعقيبات المعقبين الدكتور: سليمان والدكتور عبد العزيز وغيرهما، تعقيبات من خبير.

وعندي مداخلة يسيرة في التعقيب على أوراق البحث وتعقيب على التعقيب.

الأصل في اللغة اعتبار اشتقاق الأسماء بعضها من بعض على البحث المعروف في اللغة والأصول.

كما في حديث عبد الرحمن بن عوف، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل: أنا الرحمن، وأنا خلقت الرحم، واشتققت لها من اسمي». أخرجه أحمد في «المسند».

فإذا أردنا معرفة معنى كلمة (تدبر)؛ فسبيل ذلك إما نقل أهل العربية، أو إدراك المعنى من السياق، أو تطلب المعنى من الاشتقاقات القريبة في الاشتقاق الأصغر

obeikandl.com

-على سبيل الأولوية-، أو الأوسط، أو الأكبر.

ثم يقال: التدبر مشتق من مادة (د ب ر)، ولتصاريفها عند أهل اللغة معانٍ كثيرة..، سبق الكلام عنها، ويجمعها كلام ابن فارس في قوله: «الدال والباء والراء أصل هذا الباب، وهو آخر الشيء وخلفه».

المقصود أن هذه المقدمة إذا قررناها؛ فالأنسب ألا نتجاوزها، بل لا بد من استثمارها، وذلك بأن يقال: إن معنى التدبر لا بد أن يتصل بمادة (د.ب.ر) الدالة على آخر الشيء؛ لأن (تدبر) تفعَّل من (د.ب.ر)، فهو كينونة في آخر الشيء، فلا يصح تفسيره مثلاً بأنه الوقوف عند الشيء؛ لأن الوقوف لا علاقة له بآخر الشيء، ولا بالتأمل لأنه لا علاقة له بآخر الشيء، نعم قد يكون تفسيرًا باللازم، واللوازم واسعة.

الشاهد أننا إذا أردنا معنى التدبر؛ فالأقرب أنها تتعلق بآخر الشيء، فالتدبر كينونة في آخر الشيء، فيقال: إن الأقرب أن التدبر: أن تكون في دبر الشيء حسًّا أو معنًى، ودبر الشيء إما آخره أو ما بعد آخره، وهذا الخلاف معروف أيضًا في تفسير دبر الصلاة هل هي آخر الصلاة أو ما بعد الصلاة.

فأقرب تفسير للتدبر المضاف إلى الكلام: أنه تطلُّب آخر المعنى، أو تطلب ما وراء المعنى، وبينهما تقارب.

هنا تعقيبٌ آخر على التدبر عند الصرفيين.

فالتدبر عند الصرفيين: تفعُّل من التدبر، وهذه الصيغة دالةٌ على التطلب والتكلف والتردد، وما ذكر من كونها صيغة مطاوعة تعقبها المشايخ الفضلاء، ولا شك أن هناك فروقًا بين التدبر بصيغته وبين المطاوع؛ لأن المطاوع في الحقيقة هو المفعول به الذي

صار فاعلاً كما يقول النحاة، والغالب في أفعال المطاوعة أنها أفعال لازمة لا متعدية، والتدبر فعلٌ متعدٍّ لا لازم.

والذي يظهر أن أحد أسباب الإشكال، هو أن الدكتور عويض سُبق بذلك، فإن رضيَّ الدين في شرحه لشافية ابن الحاجب جعل عامة معاني التفعل مقصودة للمطاوعة، وتكلف في تحريف وتوجيه جميع المعاني في جعلها للمطاوعة، بل خالف الماتن نفسه ابن الحاجب، وصرف عبارته عن وجهها، وهو منتقد في تفسيره للتفعل بالمطاوعة.

هناك اتجاه آخر في فهم كلمة التدبر من خلال الصيغة الصرفية، بأن لا ننظر إليها من حيث كونها صيغة مطاوعة أو غير ذلك، لأن تدبر كما سبق لم يجئ للمطاوعة، بل ننظر إلى ثلاثة أمور صرفية:

الأول: النظر إلى زيادة التضعيف في وسط الكلمة، وذلك بتضعيف العين، وهي هنا حرف الباء (تدبَّر) (تفعَّل)، زاد حرف الباء، وأصل تضعيف العين إنما هو للفعل على التكثير؛ كما يقول ابن سِيْده.

فتضعيف العين، دال على الكثرة والمبالغة، وقد قال ابن جني في «الخصائص» في بعض كلامه: باب في قوة اللفظ لقوة المعنى: هذا فصل من العربية حسن..، كقولهم: رجل جميل، ووضيء؛ فإذا أرادوا المبالغة في ذلك قالوا: رجل جُمَّال ووُضاء بضم الواو، وقال هذا أصل مطرَّد في بابه ومنقاد..

وعندي ملاحظة وهي أن بعض المشايخ لم يرتضِ التفريق بين اللغويين وبين أهل التفسير.

وفي نظري أن التدبر عند المفسرين حقيقة عرفية، والحقائق العرفية ومنها الحقائق

الشرعية: غالبًا أخص من الحقائق اللغوية، فالحقيقة الشرعية ليست هي الحقيقة اللغوية مطلقًا، وليست ناقلة للكلمة عن موضوعها اللغوي، فهي حقائق لغوية لكن مزيدة بقيود وشروط ومحال مخصصة، فمعنى التدبر عند المفسرين أخص منه في اللغة، وهذه الخصوصية لها جهات:

منها: أن التدبر في الحقيقة العرفية عند المفسرين المراد به تدبر القرآن، وفي الحقيقة اللغوية يعم تدبر القرآن، بل يعم تدبر الكلام وغيره.

الأمر الثاني: أن التدبر في الحقيقة الشرعية لا يكون إلا إذا قصد به الانتفاع، والتدبر في غير الحقيقة الشرعية قد يشمل ما لم يرد به ذلك، لأن الحقائق الشرعية يعني يراد بها الوجود الحكمي لا الوجود العيني أو الصوري، ولذلك تنفى الأشياء شرعًا ولو وجدت حقيقتها العينية، كقوله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» عند البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت.

وعليه؛ فقصد الانتفاع شرط في التدبر، وإن لم يكن ركنًا فيه، والركن والشرط بينهما فرق كما هو معروف، وإن كان بعضهم يدخل هذا في هذا، هذا ما أردت بيانه، والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

د. خالد بن عثمان السبت

المداخلة السادسة

بعد حمد الله تعالى، ثم شكر الإخوان، أذكر بعض التعقيبات والتي تتعلق ببعض الأوراق التي قدمت:

أولًا: فيما يتعلق بما ذكر من أن الآيات التي جاءت في التدبر أنها جميعًا قد خوطب بها الكفار؛ فأقول: إن النظر في بعض هذه الآيات قد يدل على خلاف ذلك.

ثانيًا: وهو ما ذكره الدكتور عويض العطوي حفظه الله في الصفحة (٢) فيما يتعلق بمعاني التدبر في اللغة؛ فأقول: قد يدلنا التأمل والنظر إلى أن ذلك يرجع إلى شيءٍ واحد، ولعلي أذكر هذا إن شاء الله في الورقة التي تكون بعد العشاء.

ثالثًا: في المعاني التي ذكرها فيما يتصل بالتأويل، حيث ذكر له معنًى في الصفحة (١٢) وهو المعنى الذي عند المتأخرين من المتكلمين، وأول ما ظهر ذلك كما هو معلوم على يد المعتزلة من طوائف أهل البدع، وجميعًا نعلم ما حصل من جرَّاء ذلك، وكما قال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن «المجاز حمار التأويل»؛ فالتأويل ركب هذه المطية (المجاز)، وأولت صفات، ثم جاءت طوائف الباطنية وأولوا كما هو معلوم قضايا

تتعلق باليوم الآخر وحقائق شرعية؛ فالمقصود أن مثل هذه المعاني لو أنها لم تذكر أو لو نبه عليها على الأقل لكان أحسن، فإنه لا عبرة بمثل هذه المصلحات الحادثة، حيث لم ترد لا في لغة القرآن ولا في السنة، ولا في كلام السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم.

رابعًا: كذلك فيما ذكره الدكتور عويض حفظه الله في الصفحة (١٤): مما يتصل بالفروقات بين التفسير والتأويل، فكما هو معلوم أن الفروقات التي يذكرونها كثيرة، حتى إن بعضهم لربما ألف مصنفًا خاصًّا في هذا، لكن أظن أن المقام هو مقام الاختيار والتحرير، وأن ينتقى الراجح من هذه الفروقات، فإن المترجح والمختار منها يمكن أن يكون أحد هذه الأقوال.

سادسًا: فيما يتعلق بأركان التدبر التي ذكرها الدكتور صالح العايد حفظه الله يمكن أن ألخص التعليق؛ بأن مسألة التدبر هي مسألة نسبية، ولهذا خاطب الله عز وجل الكفار وغيرهم بقضية التدبر وطالبهم به، بل خاطب عموم الأمة بذلك، فإن هؤلاء يتفاوتون غاية التفاوت، ولهذا فإنه يحصل لبعضهم من استخراج المعاني، كُلٌّ بحسب حاله وبحسب ما أعطاه الله عز وجل من الفهم والعلم وأدوات الاستنباط، والقدرة على الغوص في المعاني وما إلى ذلك، إذًا فهي مسألة نسبية.

سابعًا وأخيرًا: وهي التي ذكرها الدكتور أحمد الزهراني حفظه الله فيما يتعلق بمسألة لماذا التفريق بين أهل اللغة وبين أهل التفسير؟ فسواءٌ هذا أو حتى أهل التفسير بالذات أهل اللغة والبلاغة منهم حين يغوصون جدًّا في استخراج أشياء أحيانًا لربما تكون من قبيل التكلف، فهنا نقع في المحظور والقول على الله بلا علم، ولذلك فهذا الذي حمل الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى إنكار استخراج اللطائف والدقائق، والاشتغال بها،

ورأى أن ذلك يفضي بالإنسان إلى القول على الله عز وجل بلا علم من جهة، وتضييع المعنى الأصلي الذي جاءت الآيات مقررةً له من جهة أخرى، والتوسط في هذا الباب أن تستخرج المعاني التي لها وجه من غير تكلف، وإلا فنحن أحيانًا نقرأ في الكتب بالذات التي تُعنى بالجانب البلاغي بعض الجوانب والاستنباطات والاستخراجات المتكلفة، ولذلك أذكر على سبيل الطرفة أن أحد الشعراء ألقى قصيدة، فجاء أحد الأدباء يشرح هذه القصيدة ويقول: عبر بكذا، وقال كذا، وقدم كذا، وأخر كذا، وكذا وكذا؛ فابن هذا الشاعر كان حاضرًا، فذهب إلى أبيه بعد أن انبهر وسمع هذه التدقيقات التي ينكرها الشاطبي، فقال لأبيه: يا أبت كل هذه المعاني حين قلت الشعر كانت مقصودة؟ فقال: لا يا بني!

بالطبع كلام الله عز وجل كل كلمة فيه مقصودة، لكن أنا أسوق القصة وأريد فقط التنبيه على قضية التكلف، ولذلك الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: إن القرآن جاء بطريقة العرب فهم يلقون الكلام على عواهنه، وكانوا ينكرون الشعر الذي يكون قد هُيِّئَ وأُعِدَّ، ولهذا فالأصمعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يستحسن شعر طرفة لأنه يرى أنه من قبيل المصنوع، يعني أنه كان يعده ويهيأه ويصححه قبل ذلك، وإنما يعجبهم الذي يلقى في المناسبة.

وأشكركم في الأخير على هذه الفوائد التي أتحفتمونا بها.